@ 581 @ لرسالته ، ويختصه بتفضيله ، ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . ! 2 2 ! أي : قال المكذبون للرسول ، المكذبون بوعد ا ووعيده ، الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد ، ولا رجاء لقاء الخالق . ! 2 2 ! أي : هلا نزلت الملائكة ، تشهد لك بالرسالة ، وتؤيدك عليها ، أو تنزل رسلا مستقلين ، أو نرى ربنا ، فيكلمنا ، ويقول : هذا رسولي فاتبعوه ؟ وهذا معارضة للرسول ، بما ليس بمعارض ، بل بالتكبر والعلو والعتو . ! 2 2 ! حيث اقترحوا هذا الاقتراح ، وتجرؤوا هذه الجرأة ، فمن أنتم يا فقراء ، ويا مساكين . حتى تطلبوا رؤية ا ، وتزعموا أن الرسالة ، متوقف ثبوتها على ذلك ؟ وأي كبر أعظم من هذا ؟ ! 2 2 ! أي : قسوا وصلبوا عن الحق ، قساوة عظيمة ، فقلوبهم أشد من الأحجار ، وأصلب من الحديد ، لا تلين للحق ، ولا تصغي للناصحين ، فلذلك لم ينجح فيهم وعظ ولا تذكير ، ولا اتبعوا الحق ، حين جاءهم النذير ، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم ، وآيات ا البينات ، بالإعراض والتكذيب ، فأي عتو أكبر من هذا العتو ؟ ولذلك ، بطلت أعمالهم ، واضمحلت ، وخسروا أشد الخسران . ! 2 2 ! وذلك أنهم لا يرونها ، مع استمرارهم ، على جرمهم وعنادهم ، إلا لعقوبتهم ، وحلول البأس بهم . فأول ذلك عند الموت ، إذا تنزلت عليهم الملائكة ، قال ا تعالى : ^ (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ، والملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على ا غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون) ^ . ثم في القبر ، حيث يأتيهم منكر ونكير ، فيسألانهم ، عن ربهم ، ونبيهم ، ودينهم ، فلا يجيبون جوابا ينجيهم ، فيحلون بهم النقمة ، وتزول عنهم بهم الرحمة ، ثم يوم القيامة ، حين تسوقهم الملائكة إلى النار ، ثم يسلمونهم لخزنة جهنم ، الذين يتولون عذابهم ، ويباشرون عقابهم . فهذا الذي اقترحوه ، وهذا الذي طلبوه ، إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه . وحينئذ يتعوذون من الملائكة ، ويفرون ، ولكن لا مفر لهم . ! 22 ! ! 2 2 ! . ! 2 2 ! أي : أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرا لهم ، وتعبوا فيها . ! 2 2 ! أي : باطلا مضمحلا ، قد خسروه ، وحرموا أجره ، وعوقبوا عليه ، وذلك لفقده الإيمان ، وصدروه عن مكذب ورسله ، فالعمل الذي يقبله ا ، هو ما صدر من المؤمن المخلص ، المصدق للرسل المتبع ، لهم فيه . ! 2 2 ! أي : في ذلك اليوم الهائل ، كثير البلابل ! 2 2 ! الذين آمنوا با ، وعملوا صالحا ، واتقوا ربهم ! 2! 2 من أهل النار ! 2 2 ! أي : مستقرهم في الجنة ، وراحتهم التي هي القيلولة ، هو المستقر النافع ، والراحة التامة ، لاشتمال ذلك ، على تمام النعيم ، الذي لا يشوبه كدر . بخلاف

أصحاب النار ، فإن جهنم مستقرهم ^ (ساءت مستقرا ومقيلا) ^ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل ، فيما ليس في الطرف الآخر منه شيء ، لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم ، كقوله : ! 2 2 ! . ^ (ويوم تشقق السمآء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا * الملك يومئذ الحق للرحم ن وكان يوما على الكافرين عسيرا * ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جآءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) ^ يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة ، وما فيه من الشدة والكروب ، ومزعجات القلوب فقال : ! 2 2 ! وذلك الغمام الذي ينزل ا فيه ، من فوق السموات ، فتنفطر له السموات ، وتشقق ، وتنزل الملائكة كل سماء ، فيقفون صفا صفا ، إما صفا واحدا محيطا بالخلائق ، وإما كل سماء ، يكونون صفا ، ثم السماء التي تليها صفا وهكذا . القصد أن الملائكة على كثرتهم وقوتهم ينزلون محيطين بالخلق ، مذعنين لأمر ربهم ، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من ا ، فما ظنك بالآدمي الضعيف ، خصوصا ، الذي بارز مالكه بالعظائم ، وأقدم على مساخطه ، ثم قدم عليه بذنوب وخطايا ، لم يتب منها ، فيحكم فيه الملك الخلاق ، بالحكم الذي لا يجور ، ولا يظلم مثقال ذرة ، ولهذا قال : ! 2 2 ! لصعوبته الشديدة ، وتعسر أموره عليه ، بخلاف المؤمن ، فإنه يسير عليه ، خفيف الحمل . ! 2. ! 2 وقوله : ! 2 2 ! أي : يوم القيامة ! 2 2 ! لا يبقى لأحد من المخلوقين ، ملك ولا صورة ملك ، كما كانوا في الدنيا ، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم ، والأحرار ، والعبيد ، والأشراف وغيرهم . ومما يرتاح له القلب ، وتطمئن به النفس ، وينشرح له